

النيلونجنايد

بمستطهم
الدكتور مصطفى ماهر

مقدمة

الصورة النهائية : وأهم أمثلة لهذه الملاحم : النيلونجنايد
والجودرونليد :

صاحب النيلونجنايد

يتضح من مقدمتنا القصيرة أن البحث عن صاحب الملاحم الشعبية بحث لا ينتظر له الوصول إلى شئ . وربما سمح أهل البحث لأنفسهم بالبحث عن مؤلف «الصيغة النهائية» ، كما فعلوا في حالة النيلونجنايد . وقد يؤدي البحث إلى شئ وقد لا يؤدي . ونتيجة البحث عن مؤلف الصيغة النهائية للنيلونجنايد تلخص في أنه رجل من الفرسان عاش في نهاية القرن الثاني عشر و صدر القرن الثالث عشر ، يحترف الأدب ويعيش على ما يتلقى من هبات يخلعها عليه خاصة مطران باساو ، ويبدو أنه من أهل النمسا أو جنوب ألمانيا الحالية تلك المنطقة المسماة «بايرن» أو بافاريا . هذا ما أدى إليه البحث . فلننا نعرف إذن اسم الرجل ولا نعرف موطنه ولا ثقافته ولا هدفه . ولعل في هذا خير ، فقد أدى إلى تأكيد صفة الشعبية التي تتسم بها الملحمة الشعبية العميقة التي تغطي فترة ثمانية أو تسعة قرون من الزمان .

يتجه النقاد وعلماء الأدب إلى تقسيم الأدب الملحمي الألماني في العصر الوسيط وعلى وجه التحديد في الفترة ما بين الربع الأخير من القرن الثاني عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر إلى نوعين : الملاحم الفنية أولا والملاحم الشعبية ثانياً .

أما الملاحم الفنية أو الملاحم البلاطية فقد نشأت في بلاط الفرسان وفي البيئة الفرسانية تتقمص اتجاهاته فتقلد الملاحم الأجنبية والملاحم الفرنسية المنسوبة إلى كرتيان دي تروا على وجه الخصوص ، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها ملاحم هارتمن فون أوى : اريك .. إيفارين .. هاينريش المسكين ؛ وملحمة جوتفريد فون شتراسبورج تريستان وايزولده ؛ وملاحم فولفرد فون اشنباخ : برتسيغال .. تيتوريل .. فيلهلم .

وأما الملاحم الشعبية أو الملاحم البطولية فقد خلقها الشعب من أصول تاريخية كانت في وقت ما حقيقة وواقعا ، وحولها إلى أناشيد صغيرة ثم إلى أناشيد كبيرة ثم إلى ملاحم ظلت الأفلام تناولها بالتحسين والتجميل والزيادة والتعديل حتى وصلت إلى صورة نعتبرها

النيلونجنيلىد

بنات البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، « كرىمهيلىد » ، ابنة الملك دنكرات والملكة أوتة . وكان الملك الأب قد توفى وترك الحكم لابنه جونتر ، وهو أخو كرىمهيلىد ، يعاونه أخواه الملكان جرنوت وجيزلهر . ويحارب تحت لواء ملوك فورمس فرسان مغاوير هم هاجن فون ترونيه (ترونيه = مدينة جنوب فورمس) ، وقريبه أورتفين ، وفولكر فون التساى (التساى = مدينة جنوبى فورمس غير معروف مكانها على وجه التحديد) مدبر مائدة الملك ، والعازف (شيلمن) . ويحدث أن ترى كرىمهيلىد فى المنام حلماً مخيفاً يؤرقها أشد التأريق ، رأت صقراً برياً روضته وربته تربية رفيعة كلها عناية واهتمام ، رأيته يموت أمام عينيها بين مخالب نسرين انقضا عليه وخنقاه وعذباه . وتقص كرىمهيلىد المنام على أمها فتفسر لها الأم ما رأت قائلة إن الصقر رجل عظيم ستناله ثم تفقده . ولكن كرىمهيلىد لا تعبأ بكلام أمها وترد عليها قائلة لأنها لا تفكر فى الرجال ولا تريد أن يدخل الحب حياتها فيأتمها بالألم والحزن ، وترجو أن تعيش حتى تموت دون حب ودون زواج . لكن الحلم لا يزال يراود الفتاة حتى يتحقق .

(٢ - ٤) : وينتشر خبر جمال الأميرة البورجوندية فى طول البلاد وعرضها ويعلم به القاصى والدانى ، ويأتى الفرسان يطلبون يدها فلا يظفرون بها . ويسمع عنها زيجفريد ابن الملك « زيجموند » والملكة « زيجيلينده » من مدينة سانتن (كسانتن حالياً ، فى ألمانيا قرب حدود هولندا الآن) حاضرة دولة النيدرلند على الراين ، وكان زيجفريد قد بز أقرانه وحقق المعجزات وأصبح فارساً يشار إليه بالبنان . وها هو ذا الآن يخرج فى ٤٠٠ من أعظم فرسان زمانه ، ليخطف ربة الجلال والأدب والكرم ، الأميرة الفريدة كرىمهيلىد ، ولا يستمع لتحذير والديه إياه من تكبر أبطال البورجند . وتصل الزيارة الملكية ممتطية أجود الجياد ومتزينة بأجمل الثياب إلى فورمس ، فيدهش ملك فورمس لأمرها

النيلونجنيلىد اسم مكون من جزأين ، ليد ومعناها : نشيد ، ونيلونجن ومعناها على الأرجح : أبناء ثم أهل نبيل ، وكان نبيل ملكاً على أرض أسطورية تسمت باسمه ، وكان آل نبيل هؤلاء أو النيلونجن يمتلكون كنزاً هائلاً . على أن كلمة النيلونجن لا تؤدى هذا المعنى إلا فى الجزء الأول من النشيد ، أما فى الجزء الثانى فتستعمل للإشارة إلى البورجوند وخاصة أبطالهم الأسطوريين : جونتر .. جرنوت .. جيزلهر .. كرىمهيلىد .. هاجن .. فولكر . والبورجوند فرع من أمة الفندال (أو الوندال) زحف حول عام ٢٥٠ بعد الميلاد إلى المنطقة المحيطة بنهر الماين وأقام دولة حول مدينة فورمس ثم أتى الهون وحطموها عام ٤٣٧ .

موضوع النيلونجنيلىد

وصلتنا من مخطوطات النيلونجنيلىد مجموعة كبيرة تشمل ١٠ مخطوطات كاملة و ٢٢ ناقصة . وتدل هذه المخطوطات الكثيرة على الشعبية التى كانت لهذا النشيد الضخم . ويتكون النشيد من ٣٩ مغامرة (= فصل أو باب) ، مقسمة إلى جزأين - جزء أول يمتد من المغامرة الأولى إلى التاسعة عشرة ، وجزء ثان من المغامرة العشرين إلى التاسعة والثلاثين . وتبلغ رباعيات النشيد كله ٢٣٧٩ رباعية حسب طبعة بارتش أى ٩٥١٦ بيتاً ذا مصراعين . وبعض الطبعات تضيف رباعيات أخرى تستمدّها من بقية المخطوطات يصل عددها أحياناً إلى ٥٠ أو يزيد .

الجزء الأول

حياة زيجفريد ونهايته

(١) نشأت فى بلاد البورجوند بفورمس الواقعة على نهر الراين فتاة جميلة كريمة تفوق بجمالها وكماها

ولا يستطيع أحد أن يخبره خبر القادمين ، من هم ومن أين ولماذا أتوا . فیرسل إلى القادمين واحداً من رجاله هو هاجن فون ترونيه العليم بالبلدان والأمم ليستجلى الأمر ، ويعجز هاجن عن التعرف عليهم ، ولكنه يعتقد أن هذه الأبهة والعظمة لا يمكن إلا أن تكون للبطل زيجفريد الذى سمع بمغامراته الفريدة . ويحكى هاجن ما يعلم من أخبار زيجفريد فيقول إنه صارع التنين الهائل وصرعه واستحم في دمه فاكتسى جسمه بطبقة قرنية عجيبة لا تنفذ فيها السيوف والرماح ، وأنه غلب أمة النيبلونجن واغتم من عتاه الغياهب كنزاً عظيماً من الأحجار الكريمة والذهب الأحمر ، وانتزع من القزم الخطير « البريش » معطف الاخفاء ، وهو معطف ذو طاقة إذ ما لبسه إنسان عجزت الأبصار عن الإحاطة به ، وبهذا أصبح زيجفريد صاحب الكنز بلا منازع . وهكذا ينصح هاجن الملك بأن يحسن استقبال القادم ولا يغفل له فينال غضبه ويحل به الويل والوبال . ويستقبل الملك جونتر ورجاله المغاوير الضيف القادم أحسن استقبال ويبدون له الحفاوة والتكريم . ويجب زيجفريد على السؤال الذى وجه إليه عن سبب حضوره ، بقوله إنه يريد أن يغلب الملك ويستولى على أرضه وشعبه . وتودى هذه الإجابة بالطبع إلى إثارة البلاط البورجوندى . ولكن زيجفريد يفكر في كريمهيلد سيدة الحسن والجمال فينصرف عن الحرب ، ويقبل التشريف العظيم الذى يحيطه به البلاط البورجوندى ، ويشترك في الاستعراض العسكرى الذى يقام تكريماً له ، ويفوق جميع الأبطال . ويبقى زيجفريد عاماً كاملاً لا يرى كريمهيلد ، التى كانت تقبع في الحجرات الداخلية وتنتظر إلى زيجفريد من نافذتها الصغيرة . ويعتصم زيجفريد بالصبر والجهاد . ويدخل الحرب من أجل الملك جونتر ضد الملك لوديجر في ساكسونيا والملك لوديجاست ملك الدينمرك ويغلبهما ويأسرهما . ويسبق عودته إلى فورمس رسول إلى الملك ورسول إلى

كريمهيلد بخبر النصر العظيم ، ويرى الرسول وجه كريمهيلد يتهلل فرحاً ، ويتلقى منها جائزة سنية على ما أتى من خبر جميل . منذ ذلك الحين تركز اهتمام كريمهيلد على زيجفريد وراحت تنتظر عودته . وعاد زيجفريد وأطلت كريمهيلد خلسة من نافذتها ورأت العصبة المنتصرة والملوك الأسرى ورأت بطل النيدرلند زيجفريد يتقدم موكب النصر .

(٥) : وقيم جونتر حفلة عظيمة للبطل دعى إليها من أنحاء البلاد كل العظماء والكبراء ، وظهرت ابنة الملك أخت الملوك إلى جانب أمها أوتة يحف بها الحراس ويحيط بها فتيات الشرف . وتحى كريمهيلد بأذن جونتر البطل زيجفريد ، وينظر الاثنان بعضهما للبعض نظرات مفعمة بالحب ، ويذهبان إلى الكنيسة ، وتشكر كريمهيلد البطل على الخدمة التى أداها لاختوها . ويرد عليها بأنه أراد بها رضاها . وأصبح زيجفريد يرى كريمهيلد كل يوم :

(٦ - ٧) : وكانت تعيش في الناحية الأخرى من البحر ، في ايسلند ملكة جميلة ذات قوة هائلة نذرت ألا تزوج إلا من يغلبها في ثلاث مسابقات : رمى الرمح - قذف الحجر - القفز . تلك هى الملكة برونهيلد . وكان من يفشل في المسابقات يلقي الموت على يديها من فوره . فلما علم الملك جونتر بها أراد أن يتزوجها ، ووعد زيجفريد بتزويجه من أخته كريمهيلد أن ساعده في الحصول على برونهيلد . وركب جونتر وزيجفريد ومعهما هاجن وأخوه دنكفارت سفينة إلى ايسلند فوصلا بعد رحلة استمرت اثني عشر يوماً ولاحت قصور الملكة المنيفة المتخذة من المرمر الأخضر . ورأى زيجفريد الملكة ذات الكبرياء في النافذة فعرفها . ونزلت الجماعة من السفينة إلى الأرض ، فأمسك زيجفريد بزمام حصان جونتر ، حتى يعتقد أهل ايسلند أنه من أتباعه . ثم ركب الأربعة الجياد إلى قصر الملكة ، ركب جونتر زيجفريد جوادين أبيضين بلون الثلج ، وركب هاجن

ودنكفارت جوادين أسودين بلون الغراب . فلما رأته
 الملكة برونيهلده عرفت زيجفريد وسلمت عليه قبل
 الآخرين ، ولكنه استدركها قائلاً : هذا إسراف في
 الاحتفاء بي ، يا مولاتي ، إنك تسلمين على قبل سيدى !
 واستمعت الملكة إلى رغبة جونتر ، وتلت عليه شروطها
 وبدأت المسابقة . ولما كان جونتر واثقاً من فشله مقدماً
 فقد اتفق مع زيجفريد على أن يلبس هذا معطف الاخفاء
 وينتصر له ، بينما هو يمثل أمام الناظرين الحركات تمثيلاً
 وترى الملكة القوية الرمح على درع جونتر الذى يعتمد
 على زيجفريد فيهنز ويتحطم فيه ، ثم يرمى زيجفريد
 المختفى الرمح على درع الملكة فتقلب . وتنتقل إلى
 الحجر فتقذفه بعيداً ، ثم يقذف زيجفريد حجره أبعد
 منها . ويأتى دور القفز فتقفز الملكة قفزة هائلة ، ويدفع
 زيجفريد جونتر فتلوح قفزته للناظرين أعظم . ويحمر
 وجه برونيهلده من الغيظ ، ولكنها تعترف لجونتر
 بالانتصار وتعلن على الملأ تولية جونتر عليهم .

(٨ - ٩) : ثم ترك زيجفريد جونتر وصاحبيه
 وركب السفينة سراً إلى مملكة النيبلونجن حيث كان
 كنزه . وهناك هزم العملاق الواقف على المدخل
 لحراسته ، وصارع القزم البريش الذى أنكره وتنصل
 من الإخلاص له وهزموه هو الآخر ، ثم اختار ألفاً من
 النيبلونجن الأشداء وعاد بهم إلى ايسلند وقال إنهم من
 رجال جونتر . وفرغت الملكة برونيهلده من تدبير أمر
 الملكة . وسارت إلى جانب جونتر متجهة معه إلى
 فورمس ، وسبقهم زيجفريد إلى هناك حاملاً الخبر
 السار .

(١٠) : وهكذا تحقق الحلم ، حلم زيجفريد ،
 وحلم جونتر . واحتفلت فورمس بعرسين ، عرس
 زيجفريد - كرمهيلد وعرس جونتر - برونيهلده .
 ولكن برونيهلده كانت أبعد من أن ترضى بالهزيمة عن
 طيب خاطر ، وكان زيجفريد يستهويها ويلوح لها الرجل
 الوحيد الجدير بها . فلما رأته إلى جانب كرمهيلد بكث

بكاء مرأ ، وادعت كذباً أنها تبكى حزناً على كرمهيلد
 التى لم تزوج ملكاً عظيماً ، بل تزوجت رجلاً من تبع
 جونتر . ويرد عليها جونتر بقوله إن الأمر ليس كما
 تتصور ، ويعدها بأن يقص عليها حقيقة الخبر فيما بعد .
 ولكنها لا تهدأ بالاً ، بل يملكها الغيظ ، وتستبد بها
 الغيرة فتزد جونتر في ليلة العرس الأولى إلا أن يحكى
 لها الخبر . ويرفض جونتر ، فتصارع وتقهرة بقوتها
 الخارقة وتوثقه بحزامها وتعلقه طول الليل من يديه
 ورجليه على مسمار عال بالحجرة ، ثم تحل وثاقه في
 الصباح بعد أن يتوسل إليها ويتضرع . ويسر جونتر إلى
 زيجفريد بمحتته فيعده زيجفريد بأن يلبس معطف
 الاخفاء في الليلة التالية ويساعده . ويدخل زيجفريد
 الحجرة بالفعل ويهزم برونيهلده العاتية وهى تظن أن
 جونتر هو الذى غلبها . ثم ينصرف حاملاً معه خاتماً
 انتزعه أثناء الصراع من أصبع برونيهلده وغنائماً حزامها .
 ويقدم زيجفريد فيما بعد الخاتم والحزام هدية إلى
 كرمهيلد ، وتبين الأحداث فيما بعد أنها كانت هدية
 مشنومة .

(١١) : ويعود زيجفريد ومعه كرمهيلد إلى دياره
 فينزل له أبوه عن الحكم ويعيش مع زوجه سعيداً .
 ويرزقان ابناً يسميانه جونتر ، كذلك يرزق الملك جونتر
 وبرونهلده ابناً يسميانه زيجفريد . وتتقضى سنوات عشر
 من السلام ، ولا يدور بخلد أحد أن هناك فتنة نائمة
 توشك أن تستيقظ .

(١٢ - ١٣) : لم تهدأ نفس برونيهلده أبداً ،
 كانت تضطرب بين الحزن على ما فقدت والغيرة من
 زيجفريد . وكانت كثيراً ما تحاول إثارة حفيظة جونتر
 على زيجفريد معتقدة أن زيجفريد عامل من عمال زوجها
 فتصفه بالهوان والاهمال . ولا يجروء جونتر على
 مصارحتها بحقيقة وضع زيجفريد . وأخيراً لجأت إلى
 الناحية الضعيفة في جونتر ، ناحية القرابة ، وألحت
 عليه أن يوجهوا دعوة إلى كرمهيلد التى طال غيابها ،

وزاد شوقهم إليها ، لتأتى فى زيارة إليهم . وأرسل جونتر رسلا إلى زيجفريد وكريمهيلد يحملون إليهما دعوة ، فوجدوها فى قلعة النيبلونجن بالنرويج . وقبل زيجفريد وكريمهيلد الدعوة . وذهبا فى معية بهية إلى فورمس ، حيث أعد احتفال ضخم ، تزينت له المدينة كلها . وبدأ الاحتفال بصلاة مبكرة فى الكنيسة ، واستمر عشرة أيام ، وشمل صنوفاً من الألعاب والمصارعات والترويحيات .

(١٤) : وفى اليوم الحادى عشر كان حفل الفروسية قد بدأ منذ قليل ، وجلست برونهيلد وكريمهيلد يتجاذبان أطراف الحديث . وتذكرتا يوم عرسهما منذ عشر سنين ، وتكلمتا عن زوجيهما ، فقالت كريمهيلد لأنها فخورة بزوجها الذى ينبغى أن تخضع البلاد كلها لامرته . فثارت برونهيلد وقالت إن هذا لا يمكن أن يتحقق أبداً ما دام زوجها جونتر على قيد الحياة . واستمر الشجار بين الملكتين ، فروت برونهيلد لكريمهيلد كيف قدم زيجفريد نفسه لها يوم أتى جونتر يطلب يدها ، كواحد من عمال جونتر . وردت كريمهيلد عليها بأن هذا موضوع لا خير فى الخوض فيه . وانصرفت الملكتان مغيطتين ، كل تفكر فى تأكيد تفوقها وإثبات رفعتها . وعند المغرب التقتا على مدخل الكنيسة فأمرت الملكة برونهيلد الملكة كريمهيلد بأن تتأخر وتفصح لها المكان قبلها ، فلكل قدره ، ولا يليق أن تتقدم الأمة على امرأة الملك . وهنا فقدت كريمهيلد السيطرة على نفسها وقالت لغريمتهما إنها لا تزيد عن أن تكون فاجرة ، فقد حصل عليها قبل جونتر زيجفريد ، ونصحتها بأن تصمت وتترك الختبي فى مخبئه ، وأهانتها بقولها أن مثيلاتها غير خليقات بزواج الملوك . ودخل الجميع الكنيسة ، وبعد الصلاة انتظرت برونهيلد كريمهيلد وطالبها باقامة الدليل على ادعائها الفظيع . فأخرجت لها كريمهيلد الخاتم . لكن برونهيلد لم تقبله دليلاً وردت بأنه سرق منها . وهنا أخرجت كريمهيلد

الحزام ففضى الأمر . وتأججت نفس برونهيلد بالرغبة فى الانتقام من زيجفريد ، وقررت أن عارها لا يغسله إلا موت زيجفريد . وحكت برونهيلد الأمر كله لزوجها جونتر فاستدعى زيجفريد وتحدث معه ، وكان رأى زيجفريد أن الصمت هو خير علاج للمشكلة التى لا تزيد عن أن تكون مشاجرة نسائية طارئة لا تتأجج إلا للتخمد ويتراكم عليها العفاء . وألح جونتر على زيجفريد أن يتخذ إجراء أكثر حسماً ، فأعلن زيجفريد على رءوس الأشهاد أنه لم يمس برونهيلد وأن الإهانة التى لحقت بها مردودة . واعتقد جونتر أن الأزمة قد انتهت . ولكن الأزمة لم تنته . فقد أتى هاجن فون ترونيه وسأل الملكة برونهيلد عن سبب بكائها ، فحكت له محنتها ، فقرّر أن ينتقم لها بقتل الرجل الذى سبب دموعها ، زيجفريد . وانضم إلى المتآمرين جونتر وجيزلهر . وحاول جونتر فى أول الأمر أن ينقذ زيجفريد ، وكانت أياديه عليه كثيرة ، فلم يوفق إلى ذلك واقتنع بكلام هاجن . ووضع المتآمرون خطة أو على الأصح دبروا خدعة تتلخص فى إشاعة خبر نشوب حرب ثم دعوة الجيش للذود عن البلاد ورجاء زيجفريد الاشتراك مع الجيش . وفى طريق الزحف ينقض الجيش على زيجفريد ويقتله .

(١٥) : وأتى رسل كذب إلى فورمس ، تنفيذاً لخطة هاجن ، وأعلنوا تجدد تحرشات الملكين لوديجاست ولوديجر ، وكان البورجوند قد أطلقوا سراحهما بعد أن أخذوا الوعد والميثاق منهما . وما إن سمع زيجفريد بالخبر حتى تطوع للحرب وعجل بأخذ الأهبة . وكان الجيش على قدم وساق ، وراح هاجن إلى كريمهيلد ليودعها . فوجدوها أسفة على ما جرى بينها وبين برونهيلد . ولم تكن تعلم أن من أتى ليودعها هو عدو زوجها اللدود . فرجته أن يرعى زوجها أثناء القتال ويسهر على حياته . وقالت له إنها وقد علمت فيه الاخلاص والتفانى ، تريد أن تنبهه إلى مكان بن كتنفى

زيجفريد وقعت عليه ورقة شجرة أثناء استحمامه في دم
التنين فلم تنغظ بطبقة القرنية كباقي الجسم ، وأصبحت
بذلك المكان الوحيد الذى يمكن لإصابة زيجفريد فيه ،
حتى يأخذ ذلك فى اعتباره وهو يحرسه أثناء المعارك .
واتفق هاجن مع كريمهيلد على أن تعلم له مكان الورقة
على رداء البطل بصليب . وهكذا قرر هاجن أن يضع
خطة أخرى . فصرف النظر عن الحرب ، وأمر برسل
كذب آخرين أن يأتوا بنبا السلام . وعاد الجيش .
وتقرر أن يذهب الفرسان لصيد الحيوان فى غابة
فاسجنفالد ، ودعى زيجفريد إلى الصيد .

(١٧) : وفى الليل حملت جثة زيجفريد إلى
فورمس ، ووضعها هاجن أمام باب حجرة كريمهيلد .
وفى الصباح المبكر استيقظت كريمهيلد للذهاب إلى
الصلاة مبكرة ، فرأى بعض رجالها جثة على الباب
لم يتعرف عليها ، فأسرع إلى سيدته بالخبر ، فعرفت
دون أن تنظر إلى الجثة ، أنها جثة زوجها ، وخرت
على الأرض ، دون أن تفتح فيها بكلمة . فلما أفاقت
لنفسها أمسكت رأس زيجفريد المخضبة بالدم وقالت له
إنها ستنتقم له ممن قتله هذه القتلة الغيلة . وتوقعت
كريمهيلد أن يكون القاتل هو هاجن . وأتى أبو زيجفريد
الملك زيجمونود وأهله ييكون زيجفريد . وصنع لزيجفريد
نقش من ذهب وفضة ووضع فيه ونقل إلى الكنيسة
ليدفن بها . وهناك نادى كريمهيلد جونتر ثم هاجن
أن يتقدما ناحية الجثة ، إن أرادا أن يثبتا براءتهما من
دمه . فلما اقترب هاجن من الجثة نرف جرحها ،
فتأكدت كريمهيلد من أن القاتل هو هاجن . ودفن
زيجفريد .

(١٨) : وعاد الملك زيجمونود إلى النيدرلند ليرعى
حفيدة ، ورفضت كريمهيلد دعوته إياها لمصاحبتها إلى
هناك ، وبقيت فى فورمس فى مسكن ابنته عند الكنيسة
تدور قبر زوجها المقتول كل يوم .

(١٩) : وظلت كريمهيلد أكثر من أربع سنوات
صائمة عن الكلام ، لا تغفر لأخيها جونتر ولا لهاجن .
وأخيراً تدخل جيزلهر وتوسط ليوفى بينها وبين أخيها
جونتر . واقترح عليها اخوتها أن ينقلوا إلى فورمس
كنز النييلونج الذى قدمه زيجفريد هدية الصبحية إليها ،
وكان لا يزال فى مكانه الأصيل ببلاد النييلونج .

زيجفريد وقعت عليه ورقة شجرة أثناء استحمامه فى دم
التنين فلم تنغظ بطبقة القرنية كباقي الجسم ، وأصبحت
بذلك المكان الوحيد الذى يمكن لإصابة زيجفريد فيه ،
حتى يأخذ ذلك فى اعتباره وهو يحرسه أثناء المعارك .
واتفق هاجن مع كريمهيلد على أن تعلم له مكان الورقة
على رداء البطل بصليب . وهكذا قرر هاجن أن يضع
خطة أخرى . فصرف النظر عن الحرب ، وأمر برسل
كذب آخرين أن يأتوا بنبا السلام . وعاد الجيش .
وتقرر أن يذهب الفرسان لصيد الحيوان فى غابة
فاسجنفالد ، ودعى زيجفريد إلى الصيد .

(١٦) : وذهب زيجفريد قبل الصيد إلى زوجته
ليودعها فحاولت أن تردده عن رحلته ، فقد استبدت
بها الهواجس ولاحقها الأحلام المزعجة كما طافت بها
قديمًا — حلم الصقر والنسور — حلمت هذه المرة أن
خنزيرين برين لاحقا زيجفريد فى المرج فاحمرت
الزهور بلون الدم ، وخر جبالان عليه فلم يبقيا له على
أثر . ولكنه ذهب لرحلة الصيد التى دعى إليها . وبز
زيجفريد الجميع فى تتبع الحيوان وإصابته . وصاد فى
ختام جولته دبا ربطه فى سرجه وجره إلى مكان صحبة
الصيد . وأوقدت النيران وأعدت الأواني لوجبة فى
العراء . وادعى هاجن أنه نسي الخمر وأنه يعرف مكانا
فيه نبع ماء قراح تحت شجرة زيزفون (= موجود
للآن ويعرف باسم نبع الزيزفون ، فى غابة أودنفالد) .
واقترح أن يتسابق هو وزيجفريد وجونتر فى الوصول
إليه . وكان زيجفريد أول المتسابقين . وانحنى الواحد
وراء الآخر ليطفى ظمأه ، وبينما زيجفريد يشرب ،
تناول هاجن رمحه — رمح زيجفريد — وسدد إليه ضربة
قاضية مكان الصليب الذى رسمته كريمهيلد . وبحث
زيجفريد عن شئ يصيب به هاجن ، فلم يجد سوى
درعه فتناوله ، وألقاه بقوته الخائرة على هاجن فهوى
يترنح . ثم أتى الفرسان ورأوا زيجفريد فى هذه الحال
فراحوا ييكونه وينتحبون عليه . وقال زيجفريد بصوت

اكيافارت ورجالہ المخلصون لها حتى النهاية ، متجهة إلى بلاد الهون .

(٢١) : ويرافق كريمهيلد إلى أن تبلغ مدينة فيرنجن على الدانوب (مكانها حالياً مدينة بفورينج قرب رجنسبورج) أخوها جبرنوت وجيزلر . وتستأنف رحلتها إلى باساو الواقعة عند ملتقى نهر « الإن » بالدانوب وهناك يستقبلها خالها المطران بلجريم (أو بلجرين) استقبالا رائعا يتم عن كرمه وعظمته ويرافقها إلى أن تصل موترن على الدانوب فيودعها وتستأنف رحلتها إلى أن تصل إلى نهر تريزن المتفرع من الدانوب ، فتستريح في قلعة كان اتسل قد ابتناها لزوجه المتوفاة هلشه . وتأتي وفود الأمم الخاضعة لاتسل من روس ولاغريق وبولونيين وفالاخيين على ظهور الجياد وتنضم إلى الموكب .

(٢٢) : وعند تولن أتى الملك اتسل وحوله حاشية ضخمة تضم أربعة وعشرين ملكاً يأمرون بأمره لاستقبال كريمهيلد . وكان من بين هؤلاء الملوك الخاضعين لاتسل « ديريش فون برن » أمير القوط . ويتجه الموكب إلى فيينا حيث يقام الاحتفال بالزواج على أروع مستوى وبعد أن تنتهى أيام الاحتفال تركب كريمهيلد واتسل سفينة هائلة تحملهما إلى اتسلنبورج . هلى أن كريمهيلد لم تنس في غمرة الاحتفال زوجها المقتول ، وكم تبللت عينها بالدموع !

(٢٣) : وتمر الأعوام وترزق كريمهيلد بابن تسميه أورتليب ، ولكنها لا تنسى جرحها قط . وبعد ٢٦ عاماً على وفاة زيجفريد ، تجلس كريمهيلد مع زوجها الملك اتسل وتدبر خطة الانتقام ، فتقول له إن الهون لا بد ينظرون إليها نظرهم إلى اليتامى لأن أهلها وأقاربها لم يحضروا لزيارتها ، فيقرر اتسل ارسال وفد على رأسه عازف الكمان لدعوة البورجوند إلى زيارته عندما يحول الحول ، وتؤكد كريمهيلد على الوفد أن يتمسك بحضور هاجن لأنه العليم الخبير بالمسالك والطرق .

ووافقت ، فراحت غربات كثيرة لتخرج الكنز الهائل من كهفه وتحمله على سفينة لتنقله إلى كريمهيلد . وأتت السفينة باللائى والأحجار الكريمة والذهب بكميات كبيرة حتى إن الأبراج والحجرات لم تستوعبها إلا بشق الأنفس . وتسلت كريمهيلد عن حزنها بتوزيع المال على الفقراء والمحتاجين . وخشى هاجن أن تجمع كريمهيلد الناس حولها ولقضييتها بكنزها الذى لا يفرغ ، فأخذ منها المفتاح ، ثم حمل الكنز وأغرقه فى الراين . حلت بهاجن ، وبالبورجوند ، الذين ساعدوه أو سكتوا عليه ، لعنة الذهب المعروفة فى الأساطير الشمالية القديمة ، تلك اللعنة التى تضيع الناس وتضيع منهم الذهب ، فلا هم بقوا ولابقى المال .

الجزء الثانى

نكة البورجوند

(٢٠) : وانقضت ثلاث عشرة سنة على كريمهيلد فى هذه الحال ، غيرتها من المرأة التى صورها النشيد فى أوله إلى امرأة امتلأ قلبها بالكره والحقد والثأر . وتصادف أن ماتت فى الحبر هلشه زوجة اتسل ملك الهون العظيم ، فقرر أن يطلب الزواج بكريمهيلد . وأرسل بعثة من الهون برياسة الماركجراف روديجر فون بشلارن وصلت فورمس ، وعرفهم هاجن . وأعد لهم استقبال حافل . وحمل روديجر السفارة إلى الملك . وكان رأى الملك وأخويه القبول ، أما هاجن فكان يرى الرفض خوفاً مما لا يحمد عقباه . وانتهى الأمر بترك سفارة ملك الهون تقابل كريمهيلد . ورفضت كريمهيلد الطلب ، لأنها فقدت رجلاً لا يمكن تعويضه . وألح روديجر ، وأصرت هى على الرفض . ولم توافق إلا بعد أن وعداها بأن يساعداها الهون على الانتقام من غريمها . وأقسم لها روديجر . وخرجت يدها فى يده أمام الأَشهاد دليلاً على الموافقة . وخرجت كريمهيلد فى حاشية من الوصيفات ومعها الماركجراف

(٢٤) : وعندما يصل وفد اتسل إلى فورمس ويبلغ الدعوة ، تبدأ مشاورات طويلة مستفيضة مرتاية يشترك فيها ملوك البورجوند ورجالاتهم ، وتنتهى بقبول الدعوة ، رغم تحذير هاجن . وإذا كان هاجن قد فشل فى إقناع قومه بخطورة الرحلة ، فقد نجح فى إقناعهم بالتوجه إلى اتسل مدججين بالسلاح ، مكتملى العدة ، مصطحبين صفوة الفرسان والأبطال . ويعود الوفد الهونى إلى بلاده حاملاً رد البورجوند بالإيجاب ، فتفرح كريمهيلد .

(٢٥) : وقبل أن يبدأ البورجوند رحلتهم ترى الملكة الأم أوتة حلماً فظيعاً ، ترى طيور الملكة كلها ميتة ، فتحذر قومها من شر مستطير فلا يسمع لها أحد . ويسير الموكب بمئات من البورجوند ومئات من النييلونجن وآلاف من العبيد ، ويتقدم الموكب هاجن فون ترونيه مقدماً العون والمساعدة ما استطاع . وما إن يصلوا إلى الدانوب حتى يفاجئوا بفيضانه ، ويذهب هاجن باحثاً عن سفينة فيتناهى إلى سمعه وهو على الشاطئ صوت كائنات فى الماء ، يتبين أنه صوت « غيد الماء » أو « الغيد البجع » . ولما كان يعلم أن غيد الماء لمن قدرة على قراءة الغيب فقد أخفى ما تركن من ملابس على الشاطئ ورفض أن يعيدها إلين إلا إذا أطلعته على غيبه . وسمع من واحدة من الغيد البجع تحذيراً من فناء محقق ينتظره وصحبه جميعاً على يد الهون لا يفلت منهم سوى القس . ولكنه أصم أذنه عن التحذير . وكان يقيم على الشاطئ الآخر بحار الماركجراف البايرى (البافارى) الزه ، فناداه هاجن مدعياً أنه من رجال الماركجراف فأتى البحار بالسفينة ، واغتاط عندما تبين أن المنادى كذب عليه وضربه بالحداف فما كان من هاجن إلا أن قتله ، وأخذ سفينته تفوح منها رائحة الدم الساخن إلى قومه وعكف طول اليوم على نقل البورجوند ومن معهم . وبقي فى النهاية القس وحده ولسبب ما فى نفسه ، رفض هاجن نقله ، بل وألقى به

فى مياه الدانوب ، وكلما حاول القس الاقتراب من السفينة كلما رده هاجن ، حتى أعادته يد الله إلى الشاطئ حيث كان . وتأكد هاجن من أن نبوءة غادة الماء هى الحق ، وحطم فى ثورة من الغضب الأعمى السفينة التى نقلتهم .

(٢٦) : وهكذا لم يعد أمام الموكب البورجوندى إلا أن يتقدم ناحية بلاد الهون ، فلا جسر ولا سفينة تعيده إلى وطنه إن أراد رجوعاً . وبينما الزحف يتقدم ، أتى الجيش البايرى بقيادة الماركجرافين الزه وجلقرات لينتقم لمقتل البحار ، ودارت معركة حامية بالليل فى ضوء القمر ، فلما أصبح الصباح كان ميدان القتال مفروشاً بالجثث ، وكان البورجوند هم المنتصرون .

(٢٧ - ٢٨) : ويتجاوز الموكب باساو إلى أرض الأمير روديجر فون بشلارن ، فيلقاهم الأمير بالترحاب والتكريم ، ويستضيفهم فى قلعته ثلاثة أيام ويغدق عليهم ، ويقبل خطبة ابنته ديتلنده لجيزلهر . ثم يرافق روديجر وخمسمائة من رجاله الضيوف إلى مملكة الهون . وهناك يلقون استقبالا حافلا . وأول من يلقاهم هو ديتريش فون برن أمير بلاد الاميلونجن (فرع من القوط الشرقيين) الذى يحذرهم من خطر يتوقعه ، فقد رأى كريمهيلد تبكى كل يوم منذ نزلت أرض الهون وتأكد من أنها لم تنس ما جرى لزوجها البطل القتيل زيجفريد . وتحبى كريمهيلد القادمين تحية تفاق ، تظهر لهم شيئاً من الود ، وتبطن لهم كثيراً من الشر . حتى إذا لقيت هاجن سألتها عن كنزها ، كنز النييلونجن ، هل أحضره معه كما تقضى المراسم فى مثل هذه الأحوال ، تعبيراً عن نية طيبة بعد إذ دعى . ولكن هاجن يرد عليها بأنه لم يحضر سوى الشيطان وسلاحه . وهنا علمت كريمهيلد أن أحداً ممن حولها قد حذر القادمين ، وتساءلت عنه ، فكشف لها ديتريش فون برن عن نفسه ، ووصفها بأنها عروس الشيطان .

(٢٩ - ٣٠) : على أن ديتريش لم ينضم إلى هاجن كحليف في المعركة الوشيكة . ووجد هاجن له في فولكر ، عازف الكمان الفارس الجريء ، حليفاً ومعيناً . وجلس الرجلان الحليفان مرة أمام القصر على مقعد من الحجر وكأنهما حيوانان متوحشان وركز الهون عليهما أبصارهم . كذلك أطلت كريمهيلد من نافذتها ورأت قاتل زوجها حياً طليقاً قوياً جريئاً يجلس أمامها ، فبكت بكاء مريراً وتوسلت إلى رجال اتسل أن يثأروا لها من هاجن . فتجمع المئات منهم وقد تدججوا بالسلاح ، ونزلت امرأة اتسل والتاج فوق هامتها وتقدمت إلى ساحة القصر ناحية هاجن تريد أن ترغمه على الاعتراف بفعلته . فلما رآها الفارسان تتقدم نحوهما ، جددا العهد وتعهدا على الكفاح معاً مهما عظم الخطر . ولم يستمع هاجن إلى نصيح فولكر له باظهار الاحترام المفروض لكريمهيلد كملكة ، بل عمد إلى الاستفزاز والاستخفاف والاستهزاء . فلم ينهض واقفاً عندما أقبلت عليه ، بل وضع على حجره سيفاً لامعاً تزينه زبرجدة مدهشة ، ما إن رآته كريمهيلد حتى تعرفت عليه فقد كان سيف زيمجيريد الذي آل إلى هاجن بعد اغتياله البطل النيدرلندي . ووجهت كريمهيلد كلاماً قاسياً إلى هاجن ، فسألته عن دعاه إلى أرضها ، وسألته عن قاتل زوجها ، فرد عليها بكل وقاحة ، أنه هو قاتله ، وأنه قتله انتقاماً لما حل بالملكة برونيهيلد ، وأنه مستعد لمنازلة من يريد أن ينتقم منه . ونظرت كريمهيلد إلى رجالها الهون تلمس فيهم رجال ينزل الفارس المتحدى فلم تجد ، فقد كان هاجن فارساً مغواراً قوياً سريعاً مهيباً ، وكذلك كان فولكر . ولما لم يواجه التحدي أحد ، قام الفارسان ودخلا قاعة الملك اتسل للوقوف بجانب ملوكهم ، إذا نشب قتال . وكان الملوك في حضرة اتسل يلقون منه الترحيب والتكريم ، ولم يكن اتسل يعلم بتطور الأمور وبما جرى بين كريمهيلد وهاجن . وبعد أن مد السباط ، ودار الشراب ، انتقل الضيوف

إلى قاعة كبيرة نصبت لهم فيها أسرة ليناموا . وصحا هاجن وفولكر لحراسة النائمين . وبالليل يرى فولكر رجلاً من الهون عليهم أسلحتهم يقبلون لتنفيذ خطة وضعها كريمهيلد ، فيونجهم على رغبتهم الجبانة في سفك الدماء ، فيعودوا . وفي الصباح يوقظ هاجن النيبلونج ويحضهم على لبس دروع الحرب ، بدلاً من لبس ثياب التشریف ، وعلى حمل السيوف بدلاً من حمل الورود .

(٣١ - ٣٢) : وذهب الجميع إلى الكنيسة للصلاة ثم أقيم حفل لاستعراض ألعاب الفارسان ، لم يشترك فيه رجال ديتريش ولا رجال روديجر ، خشية نشوب صدام . لكن الصدام حدث بالفعل ، إذ قتل فولكر بسيفه رجلاً من الهون ، وحمل الهون السلاح للانتقام ، فنزل اتسل ، ومنع رجاله بيده ، ولم يكن يعلم بما يجيش في الصدور . وقبل الغداء ، حاولت كريمهيلد استمالة ديتريش فون برن إليها ، فلم تفلح ، ثم حاولت استمالة بلودلين ، أخى زوجها ، ووعدته بجائزة فقبل . وبدأ الغداء في القاعة الملكية في حضرة اتسل . وتحدث اتسل إلى ضيوفه حديثاً جميلاً ، وقدم لهم ابنه أورتليب ، وقال لهم إنه يود لو أخذوه معهم فربوه تربية فرسانية لائقة . فرد هاجن رداً استفزازياً بقوله إن الملك الصغير يلوح بانساً هزيباً وإنه شخصياً لن يضيع معه وقتاً . وغضب اتسل غضباً شديداً لهذا الاستفزاز غير المتوقع . وبينما هذا يحدث في قاعة الملك ، ينقض بلودلين على جماعة من البورجوند فيهم دنكفارت حيث أنزلوا ، ولكن دنكفارت يعالجه بضربة يطيح بها رأسه . وتنشب معركة حامية بين البورجوند والهون يأبى فيها الهون على البورجوند جميعاً ، ويهرب دنكفارت إلى قاعة الملك حيث السباط ممدود ، فيدخلها عنوة .

(٣٣) : ويعلن خبر مقتل من كان معه من النيبلونج جميعاً ، ويوجه الكلام خاصة إلى هاجن . وينهض هاجن والشرر يتطاير من عينيه ، ويعلن أنه

بالعطش الشديد وسط الحريق . وفي الصباح عاد القتال مرة ثانية .

(٣٧) : ويتوسل اتسل وكريمهيلد إلى روديجر فون بشلارن ، الأول بحق الاخلاص للبيت المالك ، والثانية بحق الوعد الذي وعده إياها عند طلب يدها ، أن ينتصر للهون . ويختار روديجر في أمره فقد ارتبط أخيراً بالبورجوند برباط صداقة أوشك أن يتحول إلى مصاهرة ، ولا يريد أن يخونهم هكذا بين عشية وضحاها . ولكن حيرته لا تدوم طويلاً ، فيقرر أن ينزل البورجوند . ويذهب إليهم برجاله وتدور معركة يموت فيها بعد أن يقتل الملك جرنوت ويفنى فيها رجاله جميعاً . وتشتد شكوى كريمهيلد ويتأجج غضب اتسل (٣٨) : وبلغ الأمير ديتريش فون برن خبر أقرب إلى الإشاعة يفيد أن الملك اتسل قتل أو ربما الملكة كريمهيلد . فأرسل رجاله برئاسة المعلم هيلديبراند للاستعلام من المصادر المباشرة وأمرهم بعدم الدخول في معارك . فلما علم الأميلونج بموت روديجر ، طلبوا من البورجوند جثته ، فرفض البورجوند ووجهوا إليهم الإهانة واستفزروهم . فدخل الأميلونج برئاسة هيلديبراند القتال دون انتظار أمر من ديتريش أميرهم . وكانت نتيجة المعركة الضارية فناء الأميلونج جميعاً إلا هيلديبراند الذي خرج من المعركة جريحاً ليحكي لسيدة الخبر ، وفناء بقية البورجوند إلا جونتر وهاجن .

(٣٩) : فلما علم ديتريش بالخبر تسلم وذهب إلى البورجنديين الباقين ، وطالبهما بالتكفير عما فعلا بالاشتراك مع رجالهما من سوء ، وحضهما على أن يقدمتا أنفسهما له رهينة . وعرض أن يحميهما وأن يعيدهما إلى بلادهما معززين مكرمين . فأبى الاثنان . فنازلهما الواحد بعد الآخر ، وسلمهما لكريمهيلد ، فوضعتهما في السجن ، كل في زنزانه على حدة ووعدت بمعاملتها معاملته الرهائن . وذهبت كريمهيلد إلى هاجن تطلب منه أن يلبسها على مكان الكنز الذي أغرقه ، فرد عليها بأنه نذر الأيويوح بمكان الكنز

سيقدم إلى الملك اتسل شرباً على روح المرحوم ويدق عتق أورتليب ، ابن اتسل وكريمهيلد ، ويلقى رأسه في حجر أمه . ثم يضع حارسين على باب القاعة ، ويعمل سيفه في الحاضرين . ويستأذن ديتريش فون برن من الملك جونتر أن يخرج برجاله من القاعة ، فيعلن الملك هدنة . وهنا يخرج ديتريش ومعه كريمهيلد واتسل ، ومئات من رجاله ، كذلك يخرج روديجر ورجاله . وينقض النييلونج على ألفين من الهون بقوا في القاعة فيقتلونهم جميعاً .

(٣٤ - ٣٥) : وبعد أن ينتهى حمام الدم الهائل يخرج هاجن متعاليّاً ، ويهين الملك اتسل ، ويصمه بالجن ، ويسخر من كريمهيلد التي تزوجت مرتين . فتعلن كريمهيلد عن جائزة عظيمة لمن يأتيها برأس هاجن . فيتحمس الماركجراف ايرنج (من الدنمارك) وينازل هاجن والنييلونج ، فيصيب هاجن بجرح عميق ، لكنه يخر صريعاً ضربة قاضية يسدها إليه هاجن . ويبهب هافارت (من الدنمارك) وارنفريد (من تورنجن) للأخذ بثأر رفيقهم ايرنج ، لكن هاجن ورجاله يفتكون بهم عن آخرهم .

(٣٦) : وفي المساء يحاول ملوك البورجوند التصالح مع الهون ، لكن اتسل لا يريد أن يتصالح ، كذلك كريمهيلد . وأخيراً يأتي جيزلر يستعطف أخته . وتوضح له كريمهيلد مطلبها : أنها تريد هاجن ، هاجن وحده . وتدعوه إلى أن يمكنها منه ، فتنهى الحنة نهائياً ، ويعود البورجوند إلى أرضهم . لكن البورجوند يرفضون تسليم هاجن ، صديقهم المخلص ، ويفضل اخوة كريمهيلد الموت على خيانة الصداقة ، بغض النظر عما إذا كانت كريمهيلد على حق في طلبها أو لم تكن . وتشعل كريمهيلد النار في البيت الذي ينزل فيه البورجوند فتأني النيران على عدد كبير منهم ، ويبقى ستمائة على قيد الحياة ، هؤلاء شربوا دماء القتلى الدافقة عندما أحسوا

ما دام واحد من سادته على قيد الحياة . فأمرت كرمهيلد بأخيها الملك جونتر أن يقتل ، وحملت بيدها رأسه إلى هاجن حتى ييوح لها بمكان الكنز . ولكنه أبى وبكى الملوك الثلاثة ثم قال لها إن مكان الكنز سيظل سرّاً لا يعلمه غيره إلا الله ، وأهانها بوصفها بـ « امرأة الشيطان » . وهنا أخرجت كرمهيلد سيف زيجفريد من جرابه ودقت به عنق هاجن . وما إن يعلم هيلديبراند بقتل كرمهيلد لجونتر وهاجن ، حتى يمزقها أرباباً ، لأنها أخلفت ما وعدت ديتريش فون برن به ، من المحافظة على سلامة الأسيرين .

حول النيبلونجليد

هذا النشيد الهائل الذى قدمنا عرضاً لأحداثه الأساسية هو « الصيغة النهائية » التى صبت فيها صيغ أخرى كثيرة نشأت فى مراحل سابقة . نشأت هذه الصيغة النهائية حول عام ١٢٠٠ ميلادية فى بايرن أو فى النمسا . واللغة المستعملة هى التى تدفعنا مبدئياً إلى هذا التحديد الجغرافى ، فهى اللغة الألمانية العليا الوسيطة . ويدفعنا ثانياً إلى هذا التحديد دراسة المعلومات الجغرافية الواردة بالنشيد ، فظالما كان الحديث عن جنوب ألمانيا أى عن بايرن والنمسا كانت المعلومات دقيقة ، والأبعاد مضبوطة ، فاذا ما انتقل الحديث إلى مناطق أخرى اضطرب وأظهر التفاوت . أما التحديد الزمنى - حول عام ١٢٠٠ - فيعتمد على إشارة الشاعر العظيم فولفرم فون اشنباخ إلى موضوعات من النشيد ، إشارة لا يمكن أن تتأخر على عام ١١٩٠ ولا أن تتقدم على عام ١٢٢٠ هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية على مدة تولى المطران فولفجر فون اللينبرشتسكيرشن كرسي المطرانية فى باساو ، وهى تمتد من عام ١١٩١ إلى عام ١٢٠٤ . وليس من شك فى أن هذا المطران رعى شاعر النيبلونجليد وأكرمه ، فرد الشاعر جميله بخلق شخصية مطران باساو بلجريم ووضعها فى النشيد فى مكان كريم

جميل . وهكذا اخترنا مكاناً وسطاً وقلنا حول عام ١٢٠٠ . هذه هى الخطوة الأولى فى جولتنا حول النيبلونجليد ، أما الخطوة الثانية فنقودنا إلى مراحل تكونه . والمرحلة الأولى هى الوقائع التاريخية .

وقد حدثت بالفعل أحداث دامية فظيعة فى الفترة بين القرن الرابع والقرن السادس الميلادى فيما يسمى بهجرة الشعوب أو تجوال الشعوب . فقد فوجئت أوروبا عام ٣٧٠ بعيد الميلاد بزحف خطير قادم من آسيا قوامه أمم أسبوية من المغول كانت قد تحركت من موطنها فى أواسط آسيا تجاه الصين ، وصدها الصينيون عام ٨١ قبل الميلاد . فغيرت وجهتها وسارت تجاه أوروبا . هؤلاء هم « الهون » . كانوا أمة تركب الجياد وتحيا حياة خشنة لا تهاب الموت ولا تعرف لها فى غير العنف نشاطاً . فلما نزل الهون أوروبا والتحموا بالجرمان أصابوهم بضرر بليغ ، وأشاعوا فيهم الرعب والفرع ، وأخرجوهم من ديارهم وزحزحوهم ناحية الجنوب والغرب ، وكان الجرمان قد احترقوا الزراعة وأصبحوا أمة مستقرة نوعاً ما ، مرتبطة بالأرض .

والتحم الهون أول ما التحموا بدولة القوط فى جنوب شرق أوروبا ، فأعملوا فيها التخريب ، وفى أهلها التقتيل ، حتى إن ملك القوط « ارماترش » وقد أيقن من عجزه انتحر عام ٣٧٥ بالقاء نفسه على سيفه . وآل إلى الهون من آل من القوط ، ومن استطاع الفرار فر إلى ناحية الغرب ناشراً أخبار الزحف الهونى . وهكذا دالت دولة الجرمان أو دولة ذلك الفرع من الجرمان الذى يسمى بقوط الشرق أو القوط الشرقيين أو الأمالر أو الأملونجن ، دالت بعد ٢٥ عاماً من الرفعة بلغت من عام ٣٥٠ إلى عام ٣٧٥ على يد ارماتريش . أما فرع القوط الغربيين فقد عرف وضعاً يختلف نوعاً ما عن وضع قوط الشرق ، كان لقوط الغرب صلة بالإمبراطورية الغربية ، تارة يقيمون داخل حدودها ، وتارة يثورون عليها ، وتارة أخرى يدافعون عنها .

فلما دق الهون أجراس الخطر وراء ظهرهم ، اتجهوا عبر البلقان والتقوا بجحافل القيصر الروماني فالنس وهزموه في ادرينوبل (أدرنة حالياً) عام ٣٧٨ ، واضطروا القيصر التالي تيودوسيوس إلى اعتبارهم حلفاء الإمبراطورية وإلى منحهم بهذا حقاً شرعياً في البلاد ، بل إن الدولة الرومانية عينت زعيمهم (جرمانى ، قوطى اذن) الأريش الأول (٣٩٥ - ٤١٠) والياً مع قبل بزنطة على إقليم بلقانى شرقى بحر الأدرياتيک . وقد تحرك هذا الملك القوطى فغزا إيطاليا واستولى على روما عام ٤١٠ وغنم كميات كثيرة من الذهب والفضة وآلاف من الثياب الحريرية . واستأنف قوط الغرب تجوالهم فعبروا بقيادة أتهولف (٤١٠ - ٤١٥) جاليا (تقريباً فرنسا الحالية) إلى إسبانيا ، بعد أن التحموا بالبورجوند وهم فرع من العناصر الجرمانية المسماة بالفندال أو الوندال . فلما نزل القوط الغربيون إسبانيا وجدوا فيها عناصر من الفندال (لاحظ أن الأندلس أصلها فاند الوسيا نسبة إلى الفندال) فتحاربوا معها حروباً انتهت بهجرة الفندال إلى أفريقيا وغزوهم قرطاجة . ومن شمال أفريقيا حيث أقاموا دولة قوية ، اتجه الفندال ضد الدولة الرومانية الشرقية والغربية معاً ، وحطموا أساطيلهم ، وغيروا ریاستهم فزلوا رومولوس أوجستولوس وعينوا أودواكر عام ٤٧٦ . هذا ما كان من أمر الفندال وقوط الغرب . أما الهون فكانوا قد تمكنوا فى وقت قصير نسبياً من إقامة دولة قوية مستقرة فى المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا ونهر الدانوب على رأسها الملك أتيلا . وكانت عناصر الهون سواء قادها أتيلا أو قادها من هو دونه تثير الرعب وتبحث عن مواطن الشقاق . وهكذا سجل التاريخ سقوط دولة البورجوند وضیاع عرش ملكها « جوندهارى » عام ٤٣٦ على يد اتيوس وجيش من المرتزقة الهون لم يكن لأتيلا به شأن . واتسمت هذه العملية العسكرية بالعنف الشديد ، ويكفى أن نذكر أنها أتت على أهل الملك

جميعاً . أما أتيلا فيهمنا من أمره فى هذا المقام أنه تزوج عام ٤٣٥ من جرمانية اسمها هيلديكو وأنه أسرف ليلة العرس فى الطعام والشراب فواتته أزمة قلبية أنهت حياته . وظل الصدام بين الهون والجرمان قائماً إلى أن انتهى بالتخلص من الهون بالإبادة أو بالرحضة ناحية الشرق . ولا بد لنا أن نعود مرة ثانية إلى الحديث عن قوط الشرق وكنا قد تركناهم فى البلقان يقيمون فيها بتصريح من قيصر بزنطة ، بل ويحكمون مناطق منها تحت سمعه وبصره . وفى عام ٤٨٨ كلف القيصر البيزنطى ملك القوط تيودرش الملقب بالأكبر بالزحف على إيطاليا وتخليصها من أودواكر ، وفى عام ٤٩٣ عقد تيودريش مع أودواكر اتفاقاً ينص على اشتراكهما معاً فى الحكم ، وأقام حفلة بهذه المناسبة ، كانت فى حقيقتها مصيدة وقع فيها أودواكر وقتل ومن معه . ولا ينبغي أن نخطئ بين تيودريش الأكبر هذا (٤٥٤ - ٥٢٦) وبين سمييه تيودريش الأول ملك جماعة قوط الغرب (٤١٨ - ٤٥١) الذى بلغ بمملكة القوط الغربية حول تولوز درجة كبيرة من التقدم والقوة ، والذى حارب الهون حرباً كانت فيها نهايتهم الحقيقية رغم أنه لقي أثناء القتال حتفه .

من هذا العرض الموجز للظروف التاريخية التى أحاطت بأوروبا فى عصر تجوال الشعوب نخرج بعناصر هامة وبشخصيات هامة :

- سقوط دولة البورجوند على يد جيش من المرتزقة الهون لم يكن لأتيلا به شأن .
- زواج أتيلا بجرمانية وموته بالسكتة القلبية لافراطه فى الطعام والشراب .
- انتحار أرمانرش ليأسه من انقراض دولته وأهله من الهون .
- قيام تيودرش الأكبر بالهجوم على روما بتكليف من قيصر بزنطة .

— قتل تيودرش الأكبر أودواكر بالخدعة الخسيسة .

— تصدى تيودرش الأول للهون تصد حاسم وموته في الميدان .

هذه العناصر التاريخية وغيرها هي نواة المرحلة الثانية ، مرحلة الأساطير . وقد تكونت في المناطق الألمانية المختلفة أساطير متنوعة ، تخلط الأحداث بعضها ببعض وتضيف إليها وتحذف منها . وترتب هذه الأساطير ترتيبات متباعدة ، منها الترتيب على أساس الشخصية الأساسية ، فنقول مثلاً أسطورة ارمانرش أو أسطورة أتيلا . . . الخ ، ومنها الترتيب على أساس المنطقة الجغرافية وهو الذي سنتبعه هنا في إشارتنا السريعة إلى الأساطير الألمانية التي نعتقد أنها خرجت من الوقائع التاريخية لتكون أساساً للأناشيد الشعبية أو للملاحم الشعبية :

١ — الأسطورة القوطية الشرقية : وتدور حول شخصية « ديتريش فون برن » وهو تيودرش الأكبر ملك قوط الشرق الذي غزا إيطاليا وأقام فيها دولة عظيمة حول فيرونا (= برن بالألمانية) ، وتلحقه الأسطورة بأتيلا فتجعله واحداً من ملوكه . وتحفظ له صلته بارمانرش الذي انتحر يائساً من الانتصار على الهون .

٢ — الأسطورة الفرنكية ، أو أسطورة النيدر راين وتدور حول زيجفريد — أو زيجورد كما تسميه الأناشيد الاسكندنافية — بطل الأراضي الواطئة الذي كان يتخذ له من سانتن أو اكسانتن مقراً . والأصل التاريخي لشخصية زيجفريد غير معروف بالضبط .

٣ — الأسطورة البورجوندية : وأبطالها الملك البورجوندى جونتر ، وهو جوند هارى الذي عرفه التاريخ ، ومعه أخواه جرنوت وجيزهر ، وأبطال أمثال هاجن وفولكر . وتذكر الأسطورة لجونتر أما هي

الملكة أوته ، وأختها هي الملكة كريمهيلد : ومقر البورجوند مدينة فورمس على الراين . أما الأحداث الفظيعة التي أدت إلى هلاكهم فتنقله الأسطورة إلى بلاد أتيلا ، إلى الجحيم .

٤ — الأسطورة الهونية : وبطلها أتيلا ملك الهون الأعظم وغازى العالم الذي يخضع له أربعة وعشرون ملكاً . واسم أتيلا في الأسطورة اتسل أو أتلى ، وزوجته اسمها « هلشة » ، وساعده الأيمن اسمه روديجر فون بشلارن ، وهي شخصية لا نعرف أساسها التاريخي .

٥ — الأسطورة اللانجوباردية : وتدور حول الملك روتر والملك أورتنيت أو أوتنيت ، وهو جوديتريش وفولديتريش ، ومكانها شمال إيطاليا والتيرول والشرق .

٦ — الأسطورة الألمانية : وتدور حول فالتر فون فاسنجشتاين وهيلديجونده .

٧ — الأسطورة الفريزية أو الشمالية أو السكسونية الشمالية . ومكانها الجزائر الشمالية عند فريسلاند ، وتدور حول هتل ملك الهيجلونجن ورجاله : فاته وهورانت وفروته ومورونج . وزوجة هتل اسمها هيلده ، وله منها بنت اسمها جودرون .

من هذه الأساطير دخلت الأربع الأولى خاصة في تكوين النيبلونجنياد ، وكان لأسطورة زيجفريد ، أو زيجورد ، أو إن شئت الأسطورة الفرنكية ، مكان الصدارة . ولا بأس من أن نعرض هذه الأسطورة بشئ من التفصيل على أساس النصوص الشمالية لنرى مدى استفادة النيبلونجنياد منها .

زيجور ابن زيجموند تلقى التربية على الحداد الجريء الحكيم رايجين فنشأ شاباً قوياً جسوراً . وحرص رايجين زيجورد على قتال أخيه (أخى رايجين) فافنير الذي حرمه نصيبه من الميراث وصنع له سيفاً لهذا الغرض اسمه جرام ، ومنحه الرب أودهين جواداً هائلاً . وهكذا خرج زيجورد لمصارعة فافنير ، وكان قابلاً في

مرج جنيتا في شكل تنين بحرس كنز النيبلونجن الهائل . أما هذا الكنز فكان أصلاً في مملكة نيبيل أو نيفل الواقعة في أعماق المياه السحيقة حيث دنيا الموتى ، والتي يسمى سكانها لهذا نيفلونجار أى النيبلونجن . وغاص الآلهة أودهين ولوكي وهونير إلى هذا المكان السحيق وأخرجوا الكنز ، واضطروا للتخلي عنه لأبي رايجين وفافنير ، وبثوا الذهب لعنتهم منذ ذلك اليوم ، فلا يحتكم على الكنز إنسان إلا وتحل عليه . هناك في مرج جنيتا حفر زيجورد لعدوه فافنير ، التنين ، حفرة ، وقع فيها فضربه بسيفه ، فخرق قلبه ، ووقع فافنير يلفظ أنفاسه الأخيرة ويتنبأ لزيجورد بنهاية فظيعة كنهايته ، نتيجة لللعنة الآلهة . وشرب زيجورد من دم قلب التنين ، فعلم لغة الطير ، ووجد الطيور تنصحه أن يقتل رايجين أيضاً لحبث طويته ولعزمه على قتله . فدق عنقه . وحمل على جواده شيئاً من الذهب وسار . وفي الطريق وجد ألسنة من النار المستعرة إلى عنان السماء ، فنفذ فيها فوجد شخصاً مدرعاً ينام ، فرفع خوذته فوجده امرأة ، فشق درعها بسيفه الحاد ، فصحت وقالت له إنها برونهيلد ، فالكيرة (= جنية جرمانية ترفع الأبطال للردوس) وأن الرب أودهين دس في رأسها شوكة فنامت عقاباً لها على تركها أحد الأبطال يموت . وحرمها الرب أودهين من الاشتراك في المعارك ، وتنبأ لها بأنها ستزوج رجلاً من البشر . فقررت ألا تزوج رجلاً يعرف الخوف . وقدمت برونهيلد لزيجورد قرناً به جعة تقوى الذاكرة وعلمته الكتابة والحكمة ، ثم افترقا وقد تعاهدا على الحب والاخلاص . ويذهب زيجورد بكنزه إلى جيوكي ، وهو ملك له مملكة على نهر الراين ، فيتحالف مع أبنائه . ويحدث أن ترى ابنة هذا الملك واسمها جودرون ، حلماً مفزعاً . ثم تقدم لزيجورد ، بناء على إلحاح أمها واسمها كريمهيلد ، شرباً منسياً صنعته الأم وكانت عليمة بالسحر . فينسى زيجورد برونهيلد ويتزوج جودرون . ويريد جوناو أخو

جودرون أن يخطب برونهيلد لنفسه ويصطحب معه زيجورد . ويحاول جوناو أن ينفذ عبر النار التي اشتربت برونهيلد فيمن يريد الزواج بها عبورها ، فيفشل ، ويتمص زيجورد شخصيته ويجتاز النار ، ويطلب يد برونهيلد ، فلا تملك إلا الموافقة . ويضع زيجورد سيفه في الفراش حداً فاصلاً بينه وبينها ، ويتبادلان الخواتم . وعندما يقام الاحتفال بزواج جوناو من برونهيلد ، بعد فراغ زيجورد من مهمته ، يصحو من النسيان الذي أغرقه فيه المشروب السحري ، ويتذكر عهده الذي قطعه لبرونهيلد ، ولكنه يلوذ بالصمت . وفي يوم من الأيام تذهب المرأتان جودرون وبرونهيلد إلى نهر الراين لتغسلا شعرهما ، فتختلفان فيمن تغسل ناحية المنبع ، وتريد برونهيلد أن يكون لها هذا الامتياز لأن زوجها أحسن من زوج جودرون . فتغتاظ جودرون وتحكي لبرونهيلد أن من قهرها لم يكن جوناو ، بل زيجورد ، وترى الخاتم . وتطلب برونهيلد من زوجها أن يقتل زيجورد ، فيكلف أخاه الأصغر جوتورم بالمهمة فيقتله وهو نعسان إلى جانب جودرون فتتخضب بدمه . وكانت تأوهات جودرون تصل إلى برونهيلد فتقابلها هذه بالضحك . ويستمر نحيب جودرون ، فتقتل برونهيلد نفسها بالسيف ، ويحرق الناس جثتها وجثة زيجورد . ثم تزوج جودرون الملك أتلي ملك الهون أخا برونهيلد . وما إن يسمع أتلي بخبر الكنز الذي جلبه زيجفريد والذي بقي الآن في حوزة اخوة زوجته حتى يطمع فيه ، فيدعو اخوة زوجته إليه ويطلبهم بالكنز ، فيرفضون وتقوم معركة يموت فيها شعب هؤلاء الملوك ، ويلقون هم أيضاً فيها حتفهم بعد عذاب طويل . ويحاول أتلي أن يتصالح مع زوجته ، بعد أن قتل اخوتها وشعبهم فتقتل ولديها منه ، وتقدم له في جاحمهم جعة مختلطة بدمهم ، وتقدم له قلوبهم ليأكلها . وفي الليل تقتله وتشعل النار في القاعة التي يرقد فيها رجال أتلي ، ثم

تقفز إلى البحر لتنتحر فتدفعها الأمواج حية إلى قلعة الملك يوناكور الذى يتخذها زوجة له .

هذه هى المرحلة الأسطورية إذن من تطور مادة الملحمة. تتبعها مرحلة الأناشيد البطولية القصيرة. وقد حفظت لنا مجموعة « الايدا » ، وهى ديوان من الأشعار الجرمانية القديمة سجل فى ايسلاند ، أناشيد تدور حول هذه المادة ، يهمنها بصفة خاصة النشيد المسمى بـ « نشيد أتلى القديم » ونشيد « زيجورد القديم » . وإليك مثال من هذه الأناشيد :

نشيد زيجورد القديم

عقد زيجورد قاتل التنين حلف الاخوة مع جوناور وهو جنى ابنى الملك جيوكى ، وتزوج أختها جودرون ويريد جودرون أن يطلب يد برونهيلد التى أقسمت ألا تتزوج إلا من يقهر نيرانها المستعرة . زيجورد يعد بتقديم عونه . جوناور يحاول اجتياز النار دون جدوى : فيعيره زيجورد حصانه ، لكن الحصان يرفض التقدم : وهنا يتقمص زيجورد شخصية جوناور :

كانت النار تتأجج ، وكانت الأرض تتأرجح ،
والسنة النار ترتفع إلى عنان السماء .
ولم يجرؤ واحد من مرافقى الملك
على اجتيازها ممتطياً صهوة جواده :

ولكز زيجورد حصانه « جزانى » بسيفه « جرام » ،
بذلك السلاح الذى صنعه ريجين .
وهبطت النار أمام ابن الأمراء
وانطفأت ألسنتها أمام الجدير بالمدح :

ويدخل زيجورد ويسمى نفسه جوناور . ويتأس برونهيلد وتحزن . ولكنها تقبل الزواج تمسكاً منها بوعدها وتقسم الفراش معه ثلاث ليال . وهو يضع سيفه اللامع بينهما ، ويرد على استفسارها عن سبب ذلك بقوله إنه كتب عليه أن يتزوج هكذا أو يموت : ثم يتبادلان

الخواتم . ويعود إلى الجماعة ، فيتخذ كل شخصيته ، ويعودون إلى بلاط الملك . ويعطى زيجورد خاتم برونهيلد لزوجته جودرون .

وبعد مدة تتشاجر جودرون و برونهيلد عند الاستحمام فى النهر ، فى أمر رجليلهما وفيمن يمتاز على الآخر . وتكشف جودرون لغريمتها أن زيجورد هو الذى شق النيران وقاسمها الفراش ، وترى الخاتم . فتشحب برونهيلد كأنها قضت نحبها ، وتصوم عن الكلام اليوم بطوله . ولما سألتها جوناور عن سبب ألمها ، قالت إنها الآن تعلم كل شئ . زيجورد خانها كليهما ، عندما قاسمها الفراش ، وقالت إنها لا تريد أن يكون لها رجلان تحت سقف قاعة واحدة . « إما أن يموت زيجورد أو أموت أنا » . فقرر جوناور أن يهلك زيجورد : ولما فاتح أخاه هوجنى فى ذلك قال هوجنى :

« ماذا ارتكب زيجورد مما يوجب التكفير ،
حتى تروم قتله وهو الرجل الشجاع ؟ »
جوناور :

« لقد أقسم الرجل النبيل أيماناً ،
أيماناً حنث بها جميعاً .
لقد خاننى ، وكان عليه أن يخلص لى
ويحفظ العهد كلها »
هوجنى :

لقد حرصت برونهيلد على عمل شرير
وأشعلت الحقد ، وأيقظت الأذى :
فإنها لا تترتاح لبقاء جودرون مع زوجها ،
ولا تريد أن تظل زوجتك » .

فقطعوا الدودة ، وطهوا الذئب ،
وقدموا لجودرون طعاماً من لحم الذئب « جبرى » ،
قبل أن يقووا على التآمر
لبسط يدهم لقتل البطل النابه .
وقتل زيجورد جنوبى الراين :

وصاح الغراب من أعلا الشجرة :
« لسوف تحمر سيوف أتلى بدمائكم ،
والحيانة تقتل القاتل » .

ووقفت جودرون في الخارج ، ابنة جيوكي ،
وكانت كلمتها الأولى :

« أين تركتم زيجورد البطل الأمير ،
إذ أصدقائي يمتطون جيادهم في الطليعة ؟ »
« فسكتوا جميعاً عندما سمعوا كلامها .

ورد هوجني على ذلك قائلاً :
« لقد قتلنا البطل ،

والحصان يميل برأسه على جثة سيده » .

فضحكت بروهيلد للمرة الأخيرة —

ودوى الصدى في البيت كله — من أعماق قلبها :

« لكم أن تحكموا البلاد والرجال طويلاً ،
بعد أن قتلتم الأمير الجريء ! »

فقال جودرون ، ابنة جيوركي :

« نطقنا نطقاً فظيلاً بكلام آثم ،

ألا فليقع جونا القاتل في يد الأرواح .
وليكن الثأر جزاء العمل المشين » .

فتكلمت بروهيلد ، ابنة بودلي :

« بل احكموا السلاح والبلاد .

كان كل شيء سيوول إلى زيجفريد

لو تركتموه يعيش :

ويا له من عار ، لو حكم

ملك جيوكي وأمة القوط ،

وهناك خمسة أبناء مغاوير أنجبهم

الملك ليحكموا الشعب » .

وجن الليل : وشربوا ما شاءوا

وتبادلوا الكثير من الأحاديث الفكهة .

ثم ناموا جميعاً ، عندما ذهبوا للفراش ،

إلا جونا ، فقد رقد بلا نوم .

كان يحرك قدمه ، ويكثر من الكلام ،

ويفكر برغمه دائماً ،

فيما قاله الغراب والنسر ،

من أعلا الشجرة عندما قفلوا راجعين .

وصحت بروهيلد ، ابنة بودلي ،

ابنة الأمراء ، مبكرة قبل طلوع النهار :

« لقد حدث الشيء الأليم — فما يقدم أو يؤخر

إن أثرنا الألم أو تركناه ! »

فسكتوا جميعاً عند هذه الكلمات .

وفهم القليلون طبيعة النساء

عندما عبرت هذه باكية عن العمل

الذي أغرت إليه الرجال وهي تضحك .

« أي جونا ، لقد رأيت في المنام ما يفزع ،

رأيت القاعة باردة ومخدعي رطباً ،

ورأيتك يا أمير حزيناً

مغلل الأقدام تسير إلى جيش الأعداء .

هكذا يفنى النبلونجن

وتفنى أمتهم القوية : لأنكم تعاهدتم على الخيانة .

لقد نسيت يا جونا كل النسيان ،

أن دمكما تساقط في الأثر جميعاً .

فبئس الجزاء الذي جزيته

وكان السباق في الملمات دائماً .

وقد علم البطل عندما أقبل جريئاً

ليطلب يدي ،

بأي حزم يتمسك حامى الشعب

بالعهد حيال الحاكم الشاب .

لقد التمس سيفه القاطع الموشى بالذهب ،

ووضعه بيننا ، هكذا فعل الأمير النبيل :

وكان حدا السيف القاطعان قد قسما في الجمر ،

وكوى باطنه بالسهم الزعاف » :

يحكى هذا النشيد قصة قتل زيجورد وينتهى إلى أن قتلته اغتالوه في العراء . وهناك من يقول إنهم قتلوه وهو نائم ببيته في فراشه . ومن الألمان من يحكى أن مكان القتل كان غابة . ونشيد جودرون القديم يروى أن زيجورد وأبناء جيوكي ذهبوا جميعاً إلى ساحة التقاضى ، فلقى هناك حتفه . والجميع يتفقون على أن قتلته اغتالوه وهو راقد لا يدافع عن نفسه » .

يعطينا هذا النشيد فكرة عن المادة بعد أن تحولت من مرحلة التاريخ إلى مرحلة الأسطورة ، فرحلة النشيد الشعبي الصغير . حدث تغير في أساء الأبطال ، حتى الأبطال الأساسيين ، وتغير في الدوافع المحركة لهم في أعمالهم ، وحدث تشكيل للوقائع التاريخية . ونتجت عن هذه التطويرات الشاملة مادة النيبلونجليد في صيغته النهائية ، التي نميل إلى النظر إليها باعتبارها المرحلة الختامية . ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن وضع الصيغة النهائية (وواضح من التعبير أن صيغاً أخرى سبقها) تم في أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، أى تم في عصر الازدهار الفرساني العظيم ، فمن الطبيعى أن تتسم الصيغة النهائية بسمات العصر فتأخذ الأفكار المسيحية مكاناً وتلعب دوراً في تحويل الأحداث ، ويتحرك الأبطال حسب قواعد السلوك الفرسانية المهذبة ، خاصة في التحيات والتسليمات والاستقبالات ، ويظهر تأثير الشرق واضحاً في الناحية الشكلية التى تكتسب رونقاً وجالاً وتنوعاً عظيماً . هذه الاتجاهات فرضت نفسها على شاعر النيبلونجليد ، والأمثلة التى سنختم بها مقالنا كفيلة بتوضيحها .

انتشار النيبلونجليد

كان النيبلونجليد مشهوراً في زمانه شهرة كبيرة يدل عليها عدد المخطوطات الكاملة أو الناقصة التى وصلت إلينا . ولم تكن شهرته مقصورة على ألمانيا وحدها ، بل تعدتها إلى بلدان كثيرة ، فقد تبين من

سياق حديثنا أن ايسلاند اهتمت بمادة النيبلونجني فى أناشيد الايدا . وأنشأت النرويج التيدرسكاساجا حوالى عام ١٢٦٠ معتمدة فى بعض الأحيان على مصادر ألمانية لا بأس من أن يكون بينها النيبلونجليد . فلما دخلت المطبعة ألمانيا طبعت قصة زيجفريد ذى القرنية (فى القرن السادس عشر) . وعفا النسيان على النيبلونجليد ودحاً من الزمن حتى قام أحد المدرسين واسمه ك . ه . ميلر عام ١٧٨٢ باخراج طبعة كاملة له ، مستكملاً ما بدأه الناقد الأدبى الألمانى المهم بودمر ، الذى نشر عام ١٧٥٧ جزءاً أسماه « انتقام كريمهيلد » . وفى عام ١٨٢٦ ظهرت طبعة على أسس علمية نقدية بعناية العلامة الألمانى الكبير كارل لحمن ، ثم أخرج كارل بارتش عام ١٨٦٦ طبعة علمية نقدية أخرى (هى التى اعتمدنا عليها فى هذا المقال) لم يتقدم عليها أحد إلى يومنا هذا . كان ميلر عندما أخرج النيبلونجليد ، يعتقد أن الناس سيتهافتون على الكتاب تهافتاً شديداً . ولكن النتيجة كانت تختلف عن ذلك بعض الاختلاف . ويصح أن نورد هنا تعليق الملك فريدريش الأكبر على الكتاب وكان قد تلقى نسخة منه هدية من الناشر ؛ كتب إليه يقول : « هذه الأشياء فى نظرى لا تساوى طلقة برود ، ولا تستحق أن تخرج من غبار النسيان . وأنا على الأقل لن أقبل الابقاء فى مكتبتى على شئ حقير مثل هذا ، بل سأقذفه وأضرب به عرض الحائط » . (من خطاب بتاريخ ٢٢ فبراير ١٧٨٤) وقد يقول البعض ، إن الملك فريدريش الأكبر كان يفضل الرقة الفرنسية على الغلظة الألمانية عموماً ، ويحترق اللغة الألمانية وما يكتب بها . لكن جوته تلقى أيضاً نسخة من الناشر فتركها وأهملها ولم يعد إليها إلا فى عام ١٨٠٦ ، فاهتم بها ، بل وترجم إلى الألمانية الحديثة جانباً منها . وبدأ الاهتمام العظيم بالنيبلونجني وبالبطل زيجفريد . فظهرت ثلاثية مسرحية بعنوان « بطل الشمال » من تأليف لاموت فوكيه من عام ١٨٠٨ إلى عام ١٨١٠ . وفى عام ١٨٣٤

نشر راوباخ تراجيدته « كنز النيبلونجن » . ثم نشر جايل ملحمته « رحلة الملك زيجورد » عام ١٨٤٦ . أما عام ١٨٥٣ فهو عام مشهود في تاريخ مادة النيبلونجن ، فيه نشر الشاعر الموسيقى الفز ريشارد فاجنر رباعيته « خاتم النيبلونجن » - « ذهب الراين » - « الفالكيرة » - « زيجفريد » - « غروب الآلهة » . وفي عام ١٨٦٢ نشر الأديب الألماني العظيم فريدريش هيبيل ثلاثيته المسرحية « النيبلونجن » . ثم نشر فيلهلم يوردان عام ١٨٦٩ ملحمة باسم « النيبلونجن » وفي عام ١٩٠٩ نشر باول ارنست تراجيديا باسم « برونهيلد » ، وفي عام ١٩١٨ نشر الأديب نفسه تراجيديا ثانية باسم « كريمهيلد » . وفي عام ١٩٤٣ ألف ماكس مل دراما اسمها « النيبلونجن » ، وفي عام ١٩٥١ ألف الأديب نفسه تراجيديا اسمها « محنة النيبلونجن » .

أمثلة من النيبلونجنليد مترجمة من اللغة الألمانية القديمة

يبدأ النشيد هكذا :

« المغامرة الأولى » :

لقد حكيت لنا في أخبار قديمة عجائب كثيرة
عن أبطال مغاوير ، وعن بطولات عظيمة ،
عن أفراح واحتفالات ، وعن دموع وآهات ،
فاسمعوا عجباً عن نزال الرجال الأفاذ .

شبت في البورجوند صبية كريمة

لا مثل لجمالها في البلاد جميعاً

اسمها كريمهيلد : لقد كانت امرأة حسناء .

من أجلها مات أبطال كثيرون .

وكان حرياً بالبنات الحبيبة أن يسعى لحبها المحبون :

أحبها الكثيرون من الأبطال المغاوير ، ولم يكرها أحد .

كانت ذات جسم كريم ، جميل جمالا لا حدود له ،

وكانت فضائل العذارى حليتها .

كان يعولها ثلاثة ملوك كرام أغنياء ،

جونتر وجرنوت الرجلان الحميدان

وجيزلهر أصغرهم ، ذلك الفارس المختار :

كانت الفتاة أختهم ، وكانوا هم أوصياء عليها :

كان السادة كراماً ، ذوى حسب رفيع ،

وذوى قوة وجراً بلا حدود ، كان هؤلاء الأبطال خيرة

أهل البورجوند . والبورجوند اسم بلادهم :

وكانت لهم أعمال عجيبة في بلاد « اتسل » :

كانوا يقيمون في « فورمس » على الراين بقوتهم :

وكان يخدمهم في بلادهم كثير من الفرسان المغاوير

بشرف جدير إلى نهاية حياتهم :

ثم ماتوا في آخر الأمر نتيجة صراع امرأتين كريمتين :

وكانت أمهم ملكة غنية جريئة القلب اسمها السيدة « أوتة »

وكان أبوه ، ويدعى دنكرات ، هو الذى أورثهم الملك

بعد وفاته ، وكان رجلاً قوياً ،

نال في شبابه شرفاً كثيراً عظيماً :

كان الملوك الثلاثة ، كما ذكرت

ذوى قدرة كبيرة . وكان ينضوى لهم كذلك

أحسن الأبطال ، الذين قيل عنهم

لأنهم كانوا أقوياء شجعان لا يترددون في أعنف

المعارك .

أما المغامرة السادسة فتصف رحلة جونتر إلى

ايسلاند لطلب يد برونهيلد . وما كان ينبغي أن يذهب

البورجوند إلا في أبهى حلة . لهذا التمس جونتر من

أخته كريمهيلد أن تقوم بمهمة إعداد حلال المسافرين :

فقامت بالمهمة خير قيام . ودعت أخاها جونتر ومن

معه وبدأت العمل :

« وبعد وداع جميل ، انصرف الأبطال :

فاستدعت ثلاثين من الفتيات

نادت عليهن الملكة كريمهيلد من حجرتها ،

وكن ذات مهارة وبراعة في مثل هذا العمل .

حرير عربي أبيض كالثلج

وحرير من زرمنك أخضر جيد كالبرسم
رصعوه بالأحجار الكريمة . فكانت أثواباً حسنة .

فصلتها بنفسها كريمهيلد الفتاة الرائعة .

وانتخذت البطانة من جلود الأسماك الغربية

التي يدهش الناس لكثرة ما جمع منها ،

وغطيت البطانة بالحرير ، وهكذا أعدت الثياب .

وما أكثر ما قيل من العجب عن هذه الثياب البراقة .

من مراکش ومن ليبيا جلبوا

أحسن حرير على وجه الأرض

يليق بآل الملوك ، بكميات كبيرة .

فقد أرادت كريمهيلد الجميلة أن تبين نبل احساسها .

ولما كان الهدف هو سفارة رفيعة

فقد لاحت لهم التوشية بفراء النمس غير لائقة .

ووشوا الناحية العلوية بمخمل أسود كالكحل

يليق بالأبطال المغاوير في الاحتفالات العظيمة .

فتلاأت الأحجار الكريمة على الذهب العربي .

ولم تبخل الفتيات بالجهد فقط .

وتمت الثياب في سبعة أسابيع .

كذلك أعدت أسلحة الرجال الشجعان في هذه المدة .

وتحكى المغامرة الثالثة والثلاثين عن المذبحة الرهيبة

التي أقامها البورجونند في قاعة الملك اتسل عندما أتاهم

دنكفارت أخو هاجن بنحبر إبادة من كان معه من

الرجال جميعاً على يد الهون .

قال هاجن : « يدهشني جداً

أن يتهامس رجال الهون هنا .

لعلهم يتمنون التخلص من الرجل الذي يقف بالباب
والذي أتى البورجونند بالخبر الشؤم .

لقد سمعت منذ زمن طويل كريمهيلد تقول

إنها لن تقوى على تحمل ما في قلبها من ألم طويلاً .

فلنشرب في ذكرى المرحوم ولنضحى بنبيلد الملك .

وليكن أمير الهون الصغير أول القتلى .

وسدد هاجن ضربة إلى الصغير أورتليب

فتفجر الدم وانساب من السيف على يديه

وطار رأس القتيل فاستقر في حجر الملكة .

وجرى تقتيل كبير هائل فطبع بين الرجال .

ثم وجه بعد ذلك ضربة إلى مربى الصبي

عاجلة بيديه ، مربى الصبي الذي كان يقوم على أمره ،

فتدحرج رأسه من المنضدة إلى الأرض .

وما أسوأ الجزاء الذي أوتي المربى !

ولمح على مائدة اتسل العازف على الكمان :

فعاجله هاجن في ثورة غضبه

بضربة قطعت يده اليمنى على قوس الكمان وقال له :

« جزاء سفارتك إلى بلاد البورجونند » .

فقال فربل عازف الكمان : « واأسفى على يدي ،

ماذا فعلت بك يا سيد هاجن فون ترونيه ؟

لقد أتيت بحسن نية إلى بلادكم بلاد السادة .

وكيف أخرج الآن من الأوتار النغم ، وقد فقدت يدي ؟

ولم يعبأ هاجن بما إذا كان هذا سيستطيع العزف أو لا

يستطيع .

وتقدم ينزل في البيت الفظائع العنيفة

برجال اتسل ، فقتل منهم الكثير .

وأتى في البيت على عدد عظيم منهم » .